

اخبروا وهدية
على
دولة كندة من
خلال آثار ونقوش
قرية الفاو

د. عبد الرحمن الطيب الانصاري ●
رئيس قسم التاريخ والآثار - كلية الآداب

ان الحديث عن دولة كندة حديث يطول وقد لا نصل فيه الى نتيجة وخاصة اذا ما اردنا ان نستعرض آراء النسابية والمؤرخين ، ذلك لان عوامل كثيرة ساعدت على ان تجعل من كندة قبيلة ثم دولة تعاك حولها وحول اماكنها وملوكها الكثير من الاخبار التي لا نشك في ان الاعتماد فيها على الرواية الشفوية تسبب في البلبلة التي يحار فيها المؤلف . ولا يمكننا ان نلقي بالعصبية القبلية التي راجت في القرون الاولى للهجرة ، ان نلقي بها جانبا لأنها اثرت في مسار الحياة السياسية وفي الحياة الاجتماعية التي كانت تموج في دمشق وفي البصرة والكوفة وما بينها من البوادي والتي تستمد قوتها ونفوذها من تثبيت جذورها عبر القرون في الجزيرة العربية ، لكي تجد طريقها الى المجد ، وحتى تنفذ من خلال التنافس القاسي الى الصفوف الاولى في مجريات الاحداث . ذلك لان الخلفاء كانوا يجدون فيها فرصة طيبة للحكم من ورائهم وان لم ينتبهوا الى ان الاستفادة من هذا الصراع القبلي معدودة ، ذلك لان خسارتهم كانت افدح مما يتصورون . فقد قصر الصراع عمر الدولة الأموية وافقد العرب وهم مادة هذا الصراع سيطرتهم على مقاليد الامور منذ قيام الدولة العباسية رغم ما يراه البعض من ان الدولة العباسية كانت عربية ، او بمعنى آخر قامت على اكتاف العرب ، الا انه مما لا شك فيه ان تصور انه من المفروض ان يستعيد العرب تجمعهم ووحدهم مقابل هذا التغير ، ولكنه على ما يبدو كان تغيرا بطيئا لم يشعروا به كما نعتقد ان الرضاء الذي اصاب العالم الاسلامي في بغداد والحياة الرغيدة التي استمتعوا بها اعدتهم عن التجمع . الى جانب عوامل أخرى ليس هذا مجال ذكرها .

وهكذا نجد انفسنا نقف حائرين أمام كثير من مجريات الاحداث في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، ذلك لأن ظروفًا خاصة خلقت للعرب تقليدا لم يعرفوه من قبل وهو تقسيم انفسهم الى مجموعتين كبيرتين هي مجموعة القحطانيين ومجموعة العدنانيين ، وكل مجموعة تحاول أن تضم اليها أكبر عدد من قبائل الجزيرة العربية ، بل وصل بهم الامر الى أن يضموا اليهم قبائل اذلها الاسلام لمواقفها المعادية من دعوة التوحيد وهذا ما نجده لدى القحطانيين الذين ضموا اليهم عادا وثمود . ولعب الشعر والشعراء دورا كبيرا في هذا المجال ، بل وأصبح فريق من القبائل يصطنع قصائد ليغرز مركزه كما فعل الأوس والغزرج وغيرهما من القبائل .

وقد لعبت شخصية امرئ القيس الشاعر دورا كبيرا أيضا ، فقد كانت مادة خصبة نسجت حولها الأساطير لدرجة جعلت بعض مؤرخي الأدب يبدؤون بالشك في تصديق وجود هذه الشخصية . كما لعبت أيام العرب كنموذج للقروسية والبطولة والصراع القبلي الدامي ، لعبت دورا زادا في غموض الصورة التي يجري رواها الباحث وفي تعقيدها .

الا أننا مع ذلك لا نعدم وجود أخبار يحتمل قبولها واعتمادها كمنطلق لبحثنا ، وخاصة اذا ما رجعتها نتائج الحفريات الأثرية التي تجري في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية وفي بلاد الشام ، مما أعاد الأمل الى إمكان إعادة النظر في بعض ما يرويه المؤرخون وما يشير اليه الشعر العربي من أحداث ومواقع .

واذا رجعنا الى قبيلة ودولة كندة وقرأنا ما كتب عنها في كتب التاريخ والأنساب ودواوين الشعر ، تظهر لنا مجموعات من علامات الاستفهام أمام كثير من نواحي حياتها السياسية والاجتماعية المختلفة ، وعلاقتها بالقبائل الاخرى والممالك المعاصرة لها . وعلى كل فأننا لن نستطيع الاجابة على علامات الاستفهام ، بل سنحاول أن نضع معالم على الطريق عليها تسهم في وضوح الصورة اذا ما تابعنا السير في أبحاثنا بروح علمية ودأب مستمر .

دعونا نبدأ طريقنا بالبحث عن كندة القبيلة وكندة الدولة . يحاول مؤرخو الجزيرة العربية أن يجعلوا كندة قبيلة جنوبية ، فقد كانت تسكن أولا منطقة حضرموت ثم انتقلت الى وسط الجزيرة ، وأصبحت لها السيطرة كدولة حتى شملت شرق الجزيرة ووسطها وجزء من شمالها وجزء من غربها ، أي أنها أصبحت تحتل رقعة أقل بقليل من رقعة المملكة العربية السعودية . ولكن يبدو أن الأماكن التي تدور عليها وحولها قبيلة ودولة كندة ، كانت في الوسط الجنوبي من الجزيرة العربية .

وتعالوا نستعرض أماكن ورد ذكرها في شعر امرؤ القيس في مملته لعلها هي الأماكن
 كان يرتادها في نطاق دولة كندة وهذا لا يعني أننا نجزم بذلك ولكننا نستخدمها
 لمحاولة القيام بتحديد أدق من التعديد الكبير خاصة وأن امرؤ القيس هو أحد
 الشخصيات التي ارتبط تاريخها بتاريخ دولة كندة كوريث للعرش بعد موت أبيه
 الذي اغتالته قبيلة أمد * يقول امرؤ القيس :

قفنا نبك من ذكرى حبيب ومزمل
 يسقط اللوى بين الدخول فحومل
 فتوضح بالمقبرة لم يصف رسمها
 لما نسجتها من جنوب وشمال
 كدأبك من أم العويرث قبلها
 وجارتها أم الرباب بماسل
 ألا رب يوم لي من البيض صالح
 ولا سيما يوم بدارة جلجل

فلنستعرض بعض الأماكن التي جاءت في مملته :

- سقط اللوى :** مناف يقال له اليوم مشرق واسمه في الجاهلية شراف *
- الدخول :** ماء عذب معروف بهذا الاسم يقع شمالي الهضبة المعروف بين
 وادي الدواسر ووادي رنية *
- حومل :** جبل قريب من الدخول في جهته الغربية الجنوبية يبعد مسافة
 نصف يوم من الدخول *
- توضح :** أرض قريبة من الهضبة يقال لها اليوم التوضيحات تقع عند جبل
 الحمل جنوبا والعمل جبل يقع جنوبي الهضبة فجميع هذه
 المواضع بعضها قريب من بعض *
- المقبرة :** واد يصب إلى جهة الجنوب بين الهضبة والسوادة وقر حرف
 اليوم إلى القمرا *

دارة جلجل : وأما دارة جلجل التي عناها امروء القيس فهي باقية الى اليوم في بطن الهضب تقع في جهة الجنوبية الشرقية ويقال لها اليوم دارة جلجل وهو الموضع الذي عناء عمرو بن العثام البجلي بقوله :

وكنّا كأننا أصل دارة جلجل
مدل على أشباله يتهمهم
وهي دارة عظيمة تحيط بها هضبات باقية على هذا الاسم ..
وفي كتاب جزيرة العرب للأصمعي : دارة جلجل من منازل حجر الكندي بنجد .

عرعر : هو ماء في الهضب الواقع في المنطقة الجنوبية من نجد يقال لهذا الهضب اليوم هضب آل زايد - والماء يقال له عراعر معروف بهذا الاسم اليوم عند جميع أهل نجد وهو واقع في الجهات التي ذكرها امروء في أول مملته .

قيصر : موضع يقع من الأفلاج في الجهة الجنوبية الشرقية ، جبل فيه أبارق يقال له الجنة ، وأرض يقال لها الأجر فيها مياه ، وهي قريبة من الجنة بين الأفلاج ووادي الدواسر .

ماسل : الذي عناء امروء القيس هو ماسل الهضب وهو في وسط الهضب في عالية نجد الجنوبية .

قرقرى : أرض باليمامة إذا خرج الخارج من وشم اليمامة يريد مهب الجنوب وجعل العارض شمالاً فانه يملو أرضاً تسمى قرقرى فيها قرى وزروع ونخيل كثيرة ومن قراها الهزيمة فيها أناس من بني قريش وبني قيس بن ثعلبة ، وقرى والجوام والأطوام وتوضح . ثم يقول : وفي قرقرى أربعة حصون : حصن لكندة وحصن لتميم وحصنان لثقيف .

فتنم نرى أن هذه المواضع تكاد تكون في منطقة واحدة هي المنطقة الواقعة في عالية نجد الجنوبية أو على وجه التحديد جنوبي خط المسافر من الرياض بعد تركه

لجبل طويق الى الداودمي وما حولها حتى وادي الدواسر جنوبا وهذا التقارب يجب أن نأخذه في الاعتبار ، لأن تلك الاماكن كانت أقرب الى نفس الشاعر لأنه قضى فيها أجمل أيام حياته .

ثم دعونا نضيف الى هذه الاماكن التي جاءت في شعر امرئ القيس مكانا جاء في كتب البلداتيات وهو :

قرية : يقول البكري في مجمه : « قرية بفتح أوله واسكان ثانيه على لفظ الواحدة من القرى معرفة لا تدخلها الألف واللام : موضع بين عقيق ينسي عقيق واليمن » .

ويقول الهمداني في الصفة : ثم رجعت الى الطريق من المقرب تريد اليمن قصد نجران فتشرب بحسي كباب الذي يقول فيه مروان بن أبي حفصة :

والعيس قد علت الدبيل وخلفت بطن العقيق بنا وحسي كباب

فإن تيامنت شربت ماء عاديا يسمى قرية السى جنبه أسار عادية وكنيسة منحوتة في الصخر » .

وقرية هذه التي جاءت لدى الجغرافيين العرب هي على وجه التحديد ما يعرف الآن بقرية لدى سكان منطقة وادي الدواسر كما تسمى « قرية » الفاو لأنها في النقطة التي يتداخل ويتقاطع فيها وادي الدواسر بحاجز طويق في قناة تدعى الفاو أي قم القناة أو الوادي .

ومن هنا يمكن أن نقول أن مجموع تحديد هذه الاماكن مع تحديد مكان « قرية » يعطينا فكرة عن المنطقة التي كانت تعيش فيها كندة خاصة اذا ما لاحظنا ما ذكره ياقوت عن قرقرى وأن فيها حصنا لكندة ، ثم نجد الهمداني يقول : فأما مراحل نجران السى العقيق فأولها الكوكب وهو قلت ، ثم الحفر ثم ثلاث مراحل ثم العقيق ، وسمى العقيق لأنه معدن يقع من الذهب وهو لجرم وكندة ففيه الآن الكادرة من كندة .

وقد بدأ الاهتمام بقرية الفاو كم منطقة أثرية باهتمام بعض موظفي شركة أرامكو بها منذ الأربعينات ، ثم جون فيليبي الرحالة المعروف الذي عاد اليها مع

مجموعة من العلماء أهمهم آل ريكانز سنة ١٩٥٢ وقد كانت ثمرة رحلتهم جيدة ، ثم قام ألبرت برحلته اليها سنة ١٩٦٩ ، ودرس مجموعة من النقوش التي جمعها ثم قامت جامعة الرياض برحلات متتالية منذ سنة ١٩٧٠ م ، وحفرت فيها حفريات تركزت على التل الكبير الى جانب بعض التلال الأخرى وبعض المقابر ، ورغم أن النتائج بالنسبة للتل الكبير كانت باهرة إذ أننا نعتقد أنه كان سوق القرية لوجود دكاكين للبائعين وأسماء اصحاب هذه الدكاكين ، كما يعطي فكرة عن نوع البضاعة التي كانت تباع فيه ، وخاصة أنه يقع على حافة الوادي الذي يفصل بينه وبين الجبل ، وصورة السوق تذكرني بوصف سوق المشقر الذي ورد وصفه في الكتب العربية ، فهو بهذا يعتبر أول سوق متكامل يظهر في وسط الجزيرة بشكل عام ، وبجانب ذلك فقد وجدنا أحد الدكاكين يبدو أنه كان لمطاط القرية أو رسامها ، إذ وجدنا فيه رسوما لرحلة سيد للجمال ، كما وجدنا كلمة (ملك) مكتوبة فوق أحد الشخصيات المرسومة ، والشئ الذي يثير الاهتمام هو وجود كلمة كهمل منتشرة بأشكال مختلفة -

والى جانب ذلك اكتشفنا مقبرتين من نوع المقابر العائلية والتي لم نكتشف لها مثيلا فيما اطلعت عليه من حفريات في الجزيرة العربية ، والذي قد نجد لها شبيها في فلسطين وبلاد الشام في القرون الاولى للميلاد ، وقد وجدنا المقبرتين قد نهتا قبلنا ولم نجد الا شاهد القبرين :

المقبرة الاولى هي لعجل بن مغمم وهذا هو نص النقش حسبما ورد :

١ - عجل / بن / مغمم / بن / لآخه / ربيل / بن / هـ

٢ - شريم / ومرتهم / أبهم

٣ - فغم / قبار / ولدهو / ولولدهو / وم

٤ - رات / ولولدهو / وولد / ولدهم -

٥ - ونسيهم / جري / ذوال / غزون / ف

٦ - أعزه / بكهل / وله / وعثر

٧ - أشدق / من / غزوم / وونيم / و

٨ - بن / وكسم / عدكس / تملط

٩ - ر / اسمى / دم / ولاد

١٠ - ض / مخرج -

وهذا هو محتوى النص :

١ - عجل بن هفعم بني لأخيه ربال بن

٢ - هفعم قبرا وله ولولده

٣ - ومراثة واحفاد احفاده

٤ - ونساءهم الحرائر من آل غلوان

٥ - فأعانه بكهل ولاء وعشر

٦ - أشرق من كل ضيق وووني

٧ - وشر زوجاتهم أبدا

٨ - من كل غسارة والا فلتعطر

٩ - السعاب دما والارض

١٠ - سعيها .

فتنم هنا نلاحظ أن النص يقترب الى حد كبير في مظاهره اللغوية من لغة الشمال . كما أننا نجد ذكرا للمعبود كهل كمعبود رئيسي ، وعلى كل فهذا المعبود شمالي إذ كان من جملة معبودات التموديين ، وهو معبود يشير الى القمر ، معبود القوالم . فهل هذا كان معبده في قريته ؟

أما المقبرة الثانية فعليها بناء يعلو المقبرة مربع الشكل مبني من الحجر المسوي . كما وجد بجانب البناء نصف عسوي بدون رأس لثمان يذكروا بثمانيل تدبر والأنياط كما وجدنا في هذا البناء العلوي قطعا فخارية تخطيطية يدل شكلها على أنها من أفضل أنواع فخار القرن الثاني الميلادي . أما المقبرة فيبدو أنها بنيت في العصر الاسلامي إذ وجدت مع الرمال التي تعلو المقبرة نقشا اسلاميا لشخص يسمى زياد . كما وجدنا شاهد القبر على عمق حوالي مترين من المنزل وكأنه ساقط من مدخل البناء العلوي ، وحروف النص سيئية الشكل يعكس النص السابق والتي تتخذ شكلا محليا . وهذا هو النص حسبما ورد :

١ - قبر / معاوية / بن / ربعت / ذال / (م) (ق) (ث) / (ق)

٢ - حطن / بن / ملك / قحطن / ومذحج / بني / عل

٣ - ا / عبده / هفعم / بن / بدن / ذ (ا) (ل) / آل

وهذا هو محتوى النص :

١ - قبر معاوية بن ربيعة من آل - - -

٢ - القحطاني ملك قحطان ومذحج بني عليه

٣ - عبده هفعم بن بدن من آل ألا -

وهذا النص على قصره يشير كثيرا من التساؤلات عن هذا الملك الجديد الذي لم يرد له ذكر الا في النقوش الجنوبية ولا في الكتب العربية . فهو على ما يبدو قحطاني بسط نفوذه في « قرية » علي قحطان ومذحج ، بمعنى أن هذه المنطقة كانت تسكن من قبل هاتين القبيلتين بشكل خاص . فبالنسبة لقبيلة قحطان نجد أنها كان يحكمها ملك كندة في القرن الاول قم . وهذا ما يشير اليه النص Ja 635 وهو أقدم نص يصلنا عن « قرية » التي تعبد كهلا . اذ يذكر النص أن أبكر بن أحرس الذي كان قائدا للجيش للملك شعرم أونو ملك سبأ وذي ريدان قد حارب ضد مدينة « قرية » ذات كهل ضد ربيعة من آل ثور ملك نذكندة وقحطان وضد سادات مدينة « قرية » فما صلة معاوية هذا بربيعة من آل ثور ؟ انني أظن أن معاوية هذا وأعتقد أنه كان في القرن الثاني الميلادي - انما كان في فترة ضعف لكندة ، واستطاع معاوية وهو من قحطان أن يملك عليها وعلى مذحج رغم أن مذحجا مرتبطة ارتباطا قويا مع كندة في النصوص الجنوبية وفي الكتب العربية . فالنص رقم Ja 576 يشير الى ارتباط كندة بمذحج والتي يذكر النص أن قتالا نشب بين الشرح يعضب من جهة وبين مالك ملك كندة وشعب كندة من جهة أخرى وذلك من سنة ٥٠ - ٣٠ قم وكذلك النص رقم Ja 660 والذي يعود الى اوائل القرن الرابع للميلاد والذي يشير الى أن كندة ومذحجا كانت ضمن القبائل القوية في جيش شمر بهر عرش ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة . ثم نجدها أيضا في النص Ja 665 من جملة القبائل مع مذحج في جيش يسرم يهنم وابنه ذرا من ذلك من سنة ٢١٥ / ٢٢٠ م وان كنا نجد كندة بمفردها تشترك في حملة أبكر بن أسعد وابنه

Ry 509 سنة ٤٢٥ - ٤٣٠ م بمعنى أن كندة كانت تعيش في هذه المنطقة هي ومذحج وقحطان ولكن الغلبة كانت لكندة في المرحلة الاولى ثم لقحطان . أما مذحج فكانت قبيلة يحسب حسابها ولكن يبدو أنها مرتبطة برباط ما مع كندة . ولعل هذا ما تشير اليه الكتب العربية عندما تتحدث عن نسب كندة ومذحج - فكندة هو ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب بن هريث بن زيد بن كهلان بن سبأ . ومذحج هو مالك بن أد بن زيد السبيعي آخر النسب . فعلى هذا لمذحج يقع في مرتبة الجد الثالث لكندة وهو عم الجد الثاني لكندة .

ومن كل ذلك نرى أن معاوية بن ربيعة حكم في فترة لم تكن فيها كندة حاکمة لقرية ، ويبدو أن كندة قد ضعف مركزها بعد العملة التي قام بها اكرب أحرس . ثم حملة الشرح يحضب في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد إذ أننا لا نجد ذكرا لكندة بين هذه الفترة وبين فترة حكم معاوية بن ربيعة القحطاني .

وهنا نلفت الى نقش آخر وهو نقش النمارة الذي يعود تاريخه الى سنة

٣٢٨ ميلادية وصاحبه امرؤ القيس بن عمر ملك العرب كلهم ، فإنه يشير في نصه الى مذحج . وإذا نظرنا الى القبائل التي وردت في النص فانتنا يمكن أن نلاحظ بأنها كانت مرتبة ترتيبا جغرافيا ، فهو قد بدأ بقبيلتي أسد ووزار في الشمال ثم نزل جنوبا الى مذحج ثم انصرف الى نجران مدينة شمر . ثم اتجه الى قبائل معد . بمعنى أن امرؤ القيس قد حارب مذحجا في مكان ربما كان « قرية » ولعله سلكته التجارة والثقافة التي تجد آثارها واضحة في المكتشفات الأثرية .

ومما يلفت النظر في « قرية » أن « كهلا » كان هو معبوده الرئيسي سواء في السوق أو في المقبرة .

ومن كل ذلك نلن أن « قرية » المشار اليها في النقوش لا شك أنها هي « قرية الفاو » وأنها ذات المعبود « كهلا » ، خاصة اذا ربطنا ذلك بارتباط المواقع التي جاءت في شعر امرئ القيس بمنطقة ، وبذلك تكون « قرية » هي عاصمة كندة الاولى أو على أقل تقدير إحدى حواضرها . وان كنت أرجح أنها العاصمة . وخاصة اذا نظرنا الى مساحتها والتي تعد كبيرة نسبيا ، اذا ما قيست بحجم مدن تلك الفترة في المناطق المجاورة .

بعض المصادر والمراجع

- ١ - أحمد بن مكرم الانصاري
لسان العرب اعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي - بيروت ، سنة ١٩٧٠ م .
- ٢ - مطهر علي الايرياني :
في تاريخ اليمن ، دار الهنا للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- ٣ - جونار اولندر
ملوك كتلة من بني آل المزار ، ترجمة عبد الجبار المطلبي ، بغداد سنة ١٩٧٣ م
- ٤ - محمد بن عبدالله بن بليهد
صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، طبعة ثانية ، سنة ١٩٧٢ م .
- ٥ - حمد الجاسر
مدينة الرياض عبر أطوال التاريخ ، الرياض ، سنة ١٩٦٦ م .
- ٦ - ياقوت العموي
معجم البلدان ، بيروت ، سنة ١٩٥٧ م .
- ٧ - عبدالله بن خميس
المجاز بن اليمامة والحجاز ، الرياض ، سنة ١٩٧٠ م .
- ٨ - محمد بن الحسن بن دريد
الاستقامة ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨ م .
- ٩ - جواد علي
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ، ١٩٦٨ - ١٩٧٣ م .

١٠ - الطاهر أحمد مكى

امروء القيس أمير شعراء الجاهلية حياته وشعره ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، سنة ١٩٧٠ م .

١١ - أحمد بن عبد الوهاب النويري

نهاية الأرب ، القاهرة ، سنة ١٩٥٤ م .



1. A.F.L. Beeston: Warfare in Ancient South Arabia (2nd. - 3rd. Centuries A.D.) Qathan Fase. 3, London 1976.
2. R. Dussaud: La Penetration des Arabes en Syrie Avant L'Islam, Paris, 1955.
3. G.R. Harding: An index and concordance of Pre-Islamic Arabian names and Inscription, Toronto, 1971
4. A. Jamme: Le Pantheon Sud-Arabe Pre-islamique, Le Museum, LX, 1-4 Louvain, 1947.
5. A. Jamme: Sabeen Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib) Baltimore 1962.
6. A. Jamme: Sabaeen and Hassaeen Inscriptions from Saudi Arabia Rome 1966.
7. A. Jamme: Miscellanees d'ancien Arabe IV, Washington D.C. 1973.
8. Ph. Lippens: Expedition en Arabie Centrale, Paris, 1956.
9. J.B. Philby: Two notes from Central Arabia, G.J. vol. 113, 1949.
10. J.B. Philbyn: Motor Trakes and Sabeen Inscriptions in Najd, G.J. vol. 116, 1950.
11. G. Ryckmans: Les Religions Arabes Pre-islamiques, Louvain 1951.